

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: 9]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما مدح الله تعالى المهاجرين في الآية السابقة، وأعطاهم
فطابت نفوسُ الأنصار بذلك، وكان حالُ الأنصار مع رسول الله
ﷺ كالميت بين يدي الغاسل، مهما شاء فعل، ومهما أراد منهم صار
إليه، ووصل؛ ناسب أن يُثني عليهم في هذه الآية، ويمدحهم جبراً
لهم وشكراً لصنيعهم⁽¹⁾، فهو انتقالٌ من مدح المهاجرين، إلى مدح
الأنصار؛ استتباعاً للأمر، واستكمالاً للمشهد، وتحقيقاً للحق،
وتشبيهاً لأصحاب الحق.

التَّعْمِيمُ
والتَّكْمِيلُ
عناصر المعنى
القرآني المتكامل

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَبَوَّءُوا﴾: (بواً) يدلُّ على الرُّجوعِ إِلَى الشَّيْءِ، فالْبَاءُ
والمْبَاءَةُ، هِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ، حَيْثُ يَتَبَوَّؤُونَ فِي قُبُلٍ وَادٍ، أَوْ سَنَدٍ جَبَلٍ،
وَيُقَالُ: قَدْ بَوَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْزِلَ صِدْقٍ⁽²⁾، والمعنى المحوري: حيز
للاستقرار مهياً ومسوّياً أو مناسب لما يستقرُّ فيه، قال تعالى:
﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ
بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74]⁽³⁾، ومعنى ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾: اتَّخَذُوا المدينة
والإيمان مباءةً، وتمكَّنوا فيهما أشدَّ تمكُّن⁽⁴⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 437/19.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بواً).

(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (بواً).

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 229/8.

(2) ﴿الدَّارُ﴾: (دور) أَصْلُ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مِنْ حَوَالَيْهِ، يُقَالُ: دَارَ يَدُورُ دَوْرَانًا⁽¹⁾، والدَّارُ: المنزل اعتبارًا بدورانها الذي لها بالحائط، وقيل: دارة، وجمعها ديار، وتسمَّى البلدة دارًا، والصَّعْقُ دارًا، والدُّنْيَا دارًا، والدَّارُ الدُّنْيَا، والدَّارُ الآخرة؛ إشارة إلى المقرِّين في النِّشأة الأولى والنِّشأة الأخرى، والمراد بها في قوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: المدينة المنورة⁽²⁾.

(3) ﴿حَاجَةً﴾: (حوج) أَصْلُ وَاحِدٌ، وَهُوَ الاضْطِرَارُّ إِلَى الشَّيْءِ، فَالْحَاجَةُ وَاحِدَةٌ الْحَاجَاتِ، وَالْحَوَاجَاءُ: الْحَاجَةُ، وَيُقَالُ: أَحْوَجَ الرَّجُلُ: احتاج⁽³⁾، والحاجة إلى الشيء: الفقر إليه مع محبته، وجمعها: حاجٌ وحاجاتٌ وحوائجٌ، وحاجٌ يحوجُ: احتاج، قال تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَلَهَا﴾ [يوسف: 68]، وقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾، أي: لا يجدون مسَّ حاجةٍ مِنْ فَقْدٍ ما أُوتوا، أي: لا يحسُّدُ الأنصارُ المهاجرين على ما خُصَّوا به من مال الفيء وغيره⁽⁴⁾.

(4) ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾: (أثر) يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ الشَّيْءِ⁽⁵⁾، ومنه آثَرَهُ عَلَيْهِ: فَضَّلَهُ، وَأَثَرَ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا أَثَرًا، وَأَثَرَ وَأَثَرَ، كُلُّهُ: فَضْلٌ، وَقَدَّمَ، وَأَثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي: مِنَ الْإِثَارِ، وَأَثَرْتُكَ إِثَارًا، أي: فَضَّلْتُكَ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: 91]⁽⁶⁾، وقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، أي: يَفْضُلُونَ غَيْرَهُمْ بِالْمَالِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ولو كانوا في غاية الاحتياج⁽⁷⁾.

(5) ﴿خَصَاصَةً﴾: (خصص) أَصْلٌ مُطَرِّدٌ مُنْقَاسٌ يَدُلُّ عَلَى الْفُرْجَةِ وَالثُّلْمَةِ، وَالْخَصَاصَةُ: الْإِمْلَاقُ، وَالثُّلْمَةُ فِي الْحَالِ⁽⁸⁾، وَذَوُو الْخَصَاصَةِ: ذَوُو الْخَلَّةِ وَالْفَقَرِ، وَالْخَصَاصَةُ: الْخَلْلُ وَالثَّقْبُ الصَّغِيرُ، وَيُعْبَرُ عَنِ الْفَقْرِ الَّذِي لَمْ يُسَدَّ بِالْخَصَاصَةِ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دور).

(2) الرَّاغِب، مفردات القرآن: (دار)، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاق: (دور).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حوج).

(4) الرَّاغِب، مفردات القرآن: (حاج)، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاق: (حوج).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثر).

(6) ابن منظور، لسان العرب: (أثر).

(7) السيوطي، معترك الأقران: 2/ 166.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خص).

كما يُعَبَّرُ عنه بالخَلَّة، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽¹⁾.

(6) ﴿يُوقُ﴾: (وقي): كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ نَدُلُّ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغيرِهِ، وَوَقَيْتُهُ أَقْبَاهُ وَقِيًّا، وَالْوِقَايَةُ: مَا يَمَيُّ الشَّيْءِ، وَيَحْفَظُهُ مِمَّا يُوْذِيهِ، وَيُضِرُّهُ، يُقَالُ: وَقَيْتُ الشَّيْءَ أَقْبَاهُ وَقَايَةً وَوِقَاءً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 11]، وقال: ﴿وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: 56]، وَعَبَّرَ بِهِ مَعَ الشُّحِّ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾؛ لِأَنَّ الشُّحَّ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ⁽²⁾.

(7) ﴿شُحَّ﴾: (شحح)، الْأَصْلُ فِيهِ الْمَنْعُ، ثُمَّ يَكُونُ مَنَعًا مَعَ حِرْصٍ، مِنْ ذَلِكَ الشُّحُّ، وَهُوَ الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ، يُقَالُ: تَشَاحَّ الرَّجُلَانِ عَلَى الْأَمْرِ؛ إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْفَوْزَ بِهِ، وَمَنَعَهُ مِنْ صَاحِبِهِ، قَالَ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

تمدح الآيةُ الكريمةُ أهلَ المدينة المنورةَ الذين سكنوها قبل أن يُهاجر إليها المسلمون من مكة، والذين أخلصوا إيمانهم وعبادتهم لله تعالى، بأنَّ من صفاتهم: أَنَّهُمْ يَحِبُّونَ إِخْوَانَهُم الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ حُبًّا شَدِيدًا؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ رَبَطَ قُلُوبَهُمْ بِرِبَاطِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَأَنَّ نَفُوسَهُمْ لَا تَتَطَلَّعُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أُعْطِيَ الْمُهَاجِرُونَ مِنَ الْفَيْءِ أَوْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ الَّتِي رَبَطَتْ قُلُوبَ الْأَنْصَارِ بِالْمُهَاجِرِينَ، جَعَلَتْ الْأَنْصَارَ يَرْتَفِعُونَ عَنِ التَّشَوُّفِ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا أَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ وَحَدَهُمْ، كَمَا تَمْدَحُ الْآيَةُ الْأَنْصَارَ بِأَنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ إِخْوَانَهُم الْمُهَاجِرِينَ

الأنصار ومَن
على شاكلتهم
هم المفلحون
الفائزون

(1) الرَّاغِب، مفردات القرآن: (خص)، وابن منظور، لسان العرب: (خصص).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغِب، مفردات القرآن، وابن منظور، ومحمد جيل، العجم الاشتقاقِي: (وقي).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شَح).

في النَّفْعِ على أنفسهم، ولو كانوا في حاجة ماسّة، وفقر واضح إلى ما يقدّمونه لهم، ثم يَبَيَّنُ أَنَّ مَنْ يحفظه الله تعالى مِنْ شَحِّ نَفْسِهِ وحرصها على الإمساك، فيخالفها فيما تأمره به من المنع والتَّقْتِيرِ، فأولئك الَّذِينَ يخالفونها هم المفلحون الفائزون برضا الله ﷻ⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

نوع الواو ودلالاتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ تحتل أن تكون لعطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾، عطف القصة على القصة، فبعد أن مدح المهاجرين عطف عليه مدح الأنصار تطبيياً لخاطرهم، وتقديراً لصنيعهم مع المهاجرين⁽²⁾، وتحتل أن تكون استئنافية، والكلام بعدها مستأنفٌ لمدح الأنصار بخصال حميدة، من جُمَلَتِهَا محبَّتُهُم للمهاجرين، ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رِضًا وأكملَه⁽³⁾.

لطيفة التعبير عن الأنصار بالاسم الموصول:

آثر البيان القرآنيُّ التَّعبيرَ عن الأنصار بالاسم الموصول: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾، دون أن يقول: (الأنصار)، كما قال من قبل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾؛ ليتوصّل بجملة الصّلة إلى بيان الحال التي كانوا عليها من التمكن في الديار، والتمكّن في الإيمان قبل أن يُهاجر إليهم إخوانهم من مكّة؛ للإشارة إلى أنّ تلك الحالة الإيمانيّة الرّاسخة هي السّبب الرّئيس فيما امتازوا به من عظيم الأخلاق وجميل الصّفات، ولوقيل: (الأنصار)؛ لكان مجرد إخبار بالنّصرة التي لا تؤكّد رسوخ الإيمان؛ إذ من الممكن أن ينصر الرّجلُ الرّجلَ عصبيّةً وحميّةً، لا إيماناً وعبادّةً.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 297/14، وما بعدها، يتصرّف.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 437/19، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 89/28.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 228/8، 229.

دلالة العطف
والاستئناف
تجتمعان في
مدح الأنصار

تعليل المدح إنّما
يكون بعمل
للمدوح لا
بنسبه أو مكانته

بلادة تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي:

في تقديم المسند إليه: (الَّذِينَ) على الخبر الفعلي: ﴿يُحِبُّونَ﴾ تقويةً للمعنى، وتثبيت له في نفوس المتلقين، من خلال التشويق إلى الخبر والإثارة إلى ترقبه، حتى إذا ورد؛ ثبت في النفوس، واستقر في العقول أن الأنصار يتجدد حبهم وإيثارهم لكل من هاجر إليهم، بدرجة لا يُعكّر صفوها فيء ولا مالٌ مهما كثر، ومهما كانوا في أشد الحاجة إليه، ومن ثمَّ يعمل التشويق عمله في شحذ همّة المتلقي إلى أن يكون مع إخوانه المسلمين مثل الأنصار مع المهاجرين حبًا وطيب نفس وإيثارًا.

إثارةً للتلقي إلى
أن يكون مع
إخوانه المسلمين
مثل الأنصار مع
المهاجرين

دلالة التعبير بفعل التَّبَوُّؤ:

آثر النظم الكريم التعبير عن إقامة الأنصار في المدينة قبل هجرة مسلمي مكة إليها بفعل ﴿تَبَوَّؤْ﴾؛ لبيان أن وجودهم في المدينة هي وجود استقرار لا وجود عبور، فالمدينة مرجع لهم كلما أرادوا الخروج منها؛ رجعوا إليها، ولإشارة إلى ما يمتازون به على غيرهم من فضل سكن المدينة والتمكن من الإقامة فيها بلا منازعة ولا مضايقة من أحد؛ إذ اصطفاهم الله تعالى لسكن تلك الدار التي أعدها، وهياها؛ لتكون مهاجرًا لرسول الله والمؤمنين معه، كما أنهم أحبّوها، ولم يؤثر عليها دارًا غيرها، وهذا المعنى لا يقوم به فعلٌ مثل: (أقاموا أو سكنوا)؛ لعدم دلالتِهِ على المعاني التي أفادها التعبير بالفعل: ﴿تَبَوَّؤْ﴾.

تبوؤ الأنصار
المدينة كان عن
ثبات ومحبة لا
عن اضطراب

نكتة التعبير بصيغة الماضي:

جاء بفعل ﴿تَبَوَّؤْ﴾ ماضيًا؛ للإشارة إلى أن ذلك التمكن كان سابقًا للهجرة، وكان من عوامل اطمئنان الرسول والمهاجرين إلى المدينة وحرصهم على الهجرة إليها.

نوع (أل) ودلالاتها في لفظ ﴿الدَّارَ﴾:

(أل) في ﴿الدَّارَ﴾ للعهد، والمراد بها: يثرب التي هاجر إليها رسول الله ﷺ وأصحابه، والتي سمّاها الرسول فيما بعد المدينة المنورة، والتعريف فيها للتنبؤ به بشأنها.

نكتة إطلاق لفظ ﴿الدَّارَ﴾ على المدينة:

أثر النظم الكريم تسمية المدينة بلفظ ﴿الدَّارَ﴾؛ للإشارة إلى أنها الكاملة في الدور، فهي الدار التي تستحق أن تُسمى دارًا، وقد أعدّها الله لهم؛ ليكون تبوؤهم إيّاها مدحًا لهم⁽¹⁾، وأنّ الله تعالى أعدّها في الأزل للهجرة، وهيأها للنصرة، وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها، غالبية عليها، كما جعلها محل إقامة الأنصار وملاستهم وصحبتهم وملازمتهم؛ لكونها أهلًا لأن يعود إليها من خرج منها؛ فلا يهجرها أصلًا، فهي محل مناه، وليست موضعًا يُهاجر منه لبركتها وخيرها⁽²⁾.

توجيه عطف ﴿وَالْإِيمَانِ﴾ على ﴿الدَّارَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَالْإِيمَانِ﴾ لعطفها على ﴿الدَّارَ﴾ المعمول لفعل التبوؤ، وتعديّة فعل التبوؤ إلى ﴿الدَّارَ﴾ ظاهر، أمّا عطف (الإيمان) على ﴿الدَّارَ﴾، فإنّما أن يكون على تقدير عامل محذوف، معناه: تبوؤوا الدارَ، وأخلصوا الإيمان، من باب عطف الجملة على الجملة⁽³⁾، وإمّا أن يكون منصوبًا بـ ﴿تَبَوَّءُوا﴾ بعد تضمينه معنى (لزموا)، كأنّه قال: لزموا الدارَ، ولزموا الإيمان⁽⁴⁾، وقيل: هو من عطف المفردات على أن يكون التجوُّز واقعًا في (الإيمان) على سبيل الاستعارة المكنية، التي شبّه فيها الإيمان بالمنزل، ثم حُذِفَ المشبّه

المدينة دارٌ مغنيةٌ
عن كلّ دار

تمكّن الأنصارُ
من الإيمان
تمكّنهم من
المنزل والدار

(1) الألويسي، روح المعاني: 14/ 245، ومجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط: 10/ 1359.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 437.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 504.

(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 504، 505، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 45.

به، ورُمِزَ إليه بشيء من لوازمه، وهو التَّبَوُّؤُ، على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية⁽¹⁾، الدالة على أَنَّ الأنصار تمكَّنوا من الإيمان، ورسخوا فيه مثل تمكُّنهم من المنزل والدار تماماً بتمام، وقيل: إِنَّ (الإيمانَ) مفعول معه، أي: تبَّؤوا الدار مع الإيمان، وهو وجه قويٌّ بيانياً إلاَّ أنَّ جمهور النحاة لا يرضونه صناعياً⁽²⁾.

نوع ﴿من﴾ ودالتها:

قوله: ﴿من قَبْلِهِمْ﴾ جَارٌّ ومجرور متعلِّقٌ بمحذوف حال من الضمير المرفوع في الفعل ﴿تَبَوَّؤُا﴾، و﴿من﴾ فيه حرفٌ جرٌّ يؤكِّد أَنَّ الأنصار كانوا أهلَ المدينة وسكانها قبل هجرة المهاجرين إليها.

تعيين مرجع الضمير في ﴿قَبْلِهِمْ﴾:

الضمير المجرور في: ﴿قَبْلِهِمْ﴾ يعودُ إلى المفهوم من لفظ ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾، والتقدير: من قبل هجرة المهاجرين؛ لأنَّ وصفهم بالهجرة لم يكن إلاَّ بعد وجودها.

بلاغة استعمال مفردة ﴿يُحِبُّونَ﴾:

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ﴾ في محل رفع خبر للاسم الموصول (الَّذِينَ)، وقد أُوثر التعبير بمفردة المحبة دون (ينصرون) أو (يؤوون) وما شابه ذلك؛ لأنَّ تغلغل الحب في قلوب الأنصار سببُ رئيسٍ في قيامهم بالنصرة والإيواء، وتقاسم المال والطعام والإيثار بالفيء، وغير ذلك من الأفعال الجميلة التي تعدُّ برهاناً على شدة الحب، ودليلاً على تجذُّره للمهاجرين في قلوبهم، وعبر به مضارعاً لما يُفيدة من التجدد⁽³⁾ الدالُّ على حصوله قبل أن يخصَّهم الرسولُ بأموال الفيء، وبقائه واستمراره بعد أن خصَّهم الرسولُ بها، فذكرُ

ذكر العلة
المنادية على بقیة
الأفعال أبلغ من
ذكر ثمراتها

(1) الألوسي، روح المعاني: 245 / 14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 91 / 28.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 439 / 19.

المحبة هو ذكرُ للعلة الجامعة لبقية المعاني كالنصرة والإيواء، وفيه تنبيه على أن نصرة المهاجرين وإيواءهم لم يكن بسبب جبري قاهر، بل بسبب قلبي اختياري.

لطيفة إسناد فعل ﴿يُحِبُّونَ﴾ إلى ضمير الجماعة:

حبُّ المهاجرين
إيمانٌ وكرهم
نفاق

جاء الفعل المضارع: ﴿يُحِبُّونَ﴾ مسنداً إلى ضمير الجماعة العائد على الاسم الموصول؛ للدلالة على أن الشعور بالحب المتجدد المتدفق نحو المهاجرين هو شعور الأنصار أجمعين، لا اختلاف فيه بين الرجال والنساء، والصغار والكبار، والسادة والعبيد، والأغنياء والفقراء، فقد ملأ حبُّ المهاجرين قلوب الجميع، واستقر في نفوسهم، فهم جميعاً يحبون المهاجرين، ولا يدخل في وصف الذين تبوءوا الدار والإيمان إلا الخالص من أهل المدينة، ويخرج بذلك المنافقون، وهو إسنادٌ مخرجٌ للمنافقين من المدح، فمن كره المهاجرين؛ فقد دخل في حيز النفاق.

نكتة التعبير بالموصول ﴿مَنْ﴾:

حبُّ الأنصار
شاملٌ كلَّ
المهاجرين بلا
استثناءٍ ولا
تفريق

﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿يُحِبُّونَ﴾، وقد أوتر التعبير به؛ لما يفيد من العموم الدال على أن حبَّ الأنصار شاملٌ كلَّ من هاجر إليهم بلا استثناء ولا تفريق، فهم يحبون الصغير والكبير، الغني والفقير، السيد والخادم، كما يحبُّ الرجالُ الرجالَ، والنساءُ النساءَ، وهذا المعنى لا يتحقق بدقة؛ إذا جاء التعبير باسم موصول آخر كـ (الذين)؛ لاحتمال أن يدل على فئة معينة من المهاجرين، وإرادة العموم مرادة في السياق.

فائدة التعبير بالفعل: ﴿هَاجَرَ﴾ مادة وصيغة:

الهجرة انقطاع
عن الديار وإرادة
ديارٍ جديدة

جاء التعبير عن انتقال المسلمين من مكة إلى المدينة بفعل ﴿هَاجَرَ﴾ دون (خرج)؛ لدلالته على أنهم تركوا مكة، وانتقلوا إلى

المدينة انتقالاً ممزوجةً بالقطيعة⁽¹⁾، مع كلِّ ما في مكَّة من الأهل والديار والأموال، وليس مجرد ترك مؤقت ممزوج بالأمل في العودة، وهذا ما كان واضحاً للأنصار، ودافعاً لهم إلى شمول المهاجرين بالحبِّ والإيثار وطيب النفس، وقيل: الكلام كناية عن مواساتهم المهاجرين وعدم الاستئثار والتبرُّم منهم؛ إذا احتاجوا إليهم⁽²⁾، والتعبير به ماضياً دالُّ على حصول الحبِّ، وشعور المهاجر به بمجرد قدومه على الأنصار، وانتقاله إلى المدينة التي سكنوها قبل هجرة المهاجرين إليها.

بلادة التعبير بالجارِّ والمجرون: ﴿إِلَيْهِمْ﴾:

دلَّ حرف الجرِّ في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ على انتهاء هجرة المهاجرين إلى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾؛ وذلك لبيان أنَّ قصدَ المهاجرين إلى أهل المدينة كان حافزاً لمحبتهم، ودافعاً إلى إثارتهم؛ لأنَّ القصد إلى الإنسان يوجبُ حقَّه عليه؛ لأنَّه لولا كمال محبَّته له ما خصَّه بالقصد إليه، والدليلُ الشَّهوديُّ على ما أخبر الله سبحانه عنهم به من المحبة أنَّهم شاطروا المهاجرين في أموالهم، وعرضوا عليهم أن يشاطروهم الرِّوَج من نسائهم، على الرِّغم من شدَّة غيرتهم، فأبى المهاجرون المشاطرة في النساء، وقبلوا منهم الأموال⁽³⁾.

بلادة الاحتراس بالعطف:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿يُحِبُّونَ﴾، وفي عطفهما بالواو التي تفيد المشاركة دلالة على أنَّ حبَّ الأنصار للمهاجرين لم يكن حباً عادياً، بل كان حباً ممزوجةً بسلامة الصدر، وعدم التطلع إلى ما خصَّ

القصد إلى
الإنسان دليل
على المحبة
الموجبة عليه
القيام بواجب
الاستقبال

حبَّ الأنصار
للمهاجرين
خالٍ من الحرج
والصَّيق

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).

(2) الألوسي، روح المعاني: 246 / 14.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 439 / 19.

اللَّهُ به المهاجرين من أموالِ الفيء أو غيرها، وتلك مزية امتاز بها الأنصار عن أهل زمانهم وعن أهل كلِّ زمان، فقد "كان شأن القبائل أن يتحرَّجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم ومشاركتهم"⁽¹⁾، فكان عطف هذه الجملة مفيداً الاحتراس من مظنة وجود حرج في الصدور.

دلالة النفي بـ (لا):

(لا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ حرف نفي يدلُّ على انتفاء وجود أيِّ قدر من الضيق أو الحاجة في صدور الأنصار؛ بسبب اختصاص المهاجرين بأموال الفيء.

بلاغة الكناية في نفي الحاجة:

نفي وجدان الحاجة في الصدور في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ كناية عن انتفاء وجودها؛ لأنها لو كانت موجودة؛ لأدركوها في نفوسهم⁽²⁾، وأوثر التعبير بنفي الوجدان؛ لأنَّ نفي الوجدان أقوى من نفي الحاجة؛ لأنَّ نفي الحاجة يعني وجود شيء التبرُّم أو الضيق أو الاحتياج إلى ما أوتوا، أما نفي الوجدان؛ فهو يعني: عدم الوجود أصلاً⁽³⁾، وهو ما يتَّفَق مع الحقيقة والواقع، ويتَّفَق كذلك مع الحب المتجدِّر المتجدِّد في قلوب الأنصار للمهاجرين.

دلالة التَّعبير بصيغة المضارع:

عبَّر النَّظْم عن الوجدان المنفي بصيغة المضارع، فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾؛ لما يفيد من انتفاء وجدان الحرج في الماضي، وانتفاء وجدانه في الحاضر، وتجدُّد انتفائه في المستقبل.

نفي وجود
الحاجة أقوى
من نفي الحاجة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 91/28.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 92/28.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 439/19.

بلادة التعبير بحرف الظرفية:

أثر التعبير بحرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: للدلالة على انتفاء أن تكون صدور الأنصار أوعية للتطلع أو التشوف أو الحاجة أو حتى مجرد السؤال عن سبب اختصاص المهاجرين بالفيء أو غيره، ففي التعبير به مبالغة في بيان انتفاء أدنى حاجة قد توجد في صدور الأنصار، فهم إن نظروا في صدورهم، وفتشوا فيها؛ فلن يجدوا شيئاً من شأنه التأثير على الأحكام المتعلقة بالمال.

صدور الأنصار
أوعية النقاء
الضافي فلا تطلع
ولا تشوف

بلادة التعبير بالصدور دون القلوب والنفوس:

آثر النظم الكريم التعبير بلفظ (الصدور) دون (القلوب) أو (النفوس)، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾؛ لما يدل عليه لفظ (الصدور) من السعة والإحاطة؛ إذ الصدور هي مقر القلوب، ومستودع أسرار النفوس، والتعبير بها أكثر إحاطة وإماماً، وأدل على عدم وجدان الحاجة في أي عضو من أعضاء البدن، سواء أكان قلباً أم نفساً أم صدرًا، كما أن الصدور هي محل الانسراح ومحل الضيق والاعتماد، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ﴾ [الحجر: 97]، فنفي كونها محلاً للحاجة ممّا أوتي المهاجرون دليل على نفي الحاجة عن القلب والنفس وغيرهما، والمعنى: ولا يجدون في صدورهم التي هي مساكن قلوبهم، فتصدر منها أوامر القلوب، فضلاً عن أن تنطق ألسنتهم⁽¹⁾.

نفي الحاجة عن
الصدور يلزم
عنه نفي الحاجة
عن النفوس
والقلوب

غرض تقديم الجار والمجرور على المفعول:

قدّم الجار والمجرور: ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ على المفعول: ﴿حَاجَةً﴾؛ للاهتمام والعناية بنفي اشتغال الصدور على أي ضيق أو تبرم من

صدور الأنصار
فارغة من أدنى
شيء يتعلّق
بإخوانهم
المهاجرين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 439/19.

اختصاص المهاجرين بالفيء، فتقديم الصدور يقتضي تسلط النفي عليها بصورة واضحة؛ إذ من الممكن أن تكون الحاجة موجودة في الصدر، ولكن لا يُفصح عنها، فتقديم الجار والمجرور يؤكد فراغ الصدور من أي حسد أو غيظ أو حزازة.

دلالة استعمال مفردة ﴿حَاجَةً﴾:

الحاجة في الأصل: اسم مصدر الحوج، وهو الاحتياج، أي: الافتقار إلى شيء، وتُطلق على الأمر المحتاج إليه⁽¹⁾، وأوثر التعبير بلفظ: ﴿حَاجَةً﴾ دون لفظ: (شيئاً)؛ لجمعه بين الشيء والاحتياج، بخلاف لفظ الشيء، الذي يدل على ما هو أعم من ذلك، والمعنى: أن نفوس الأنصار لم تتبّع ما أعطوا، ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه، ولو كان بهم خصاصة⁽²⁾، مع الإلماح إلى أن لفظ ﴿حَاجَةً﴾ يُشير إلى الاحتياج المالي، وبنفيه يكون أبلغ من نفي الشيء.

غرض تنكير لفظ ﴿حَاجَةً﴾:

نُكر لفظ ﴿حَاجَةً﴾؛ لما يفيد التنكير في سياق النفي من عموم المعنى وشموله كلّ شيء يحتاج إليه من الفيء، فكل ذلك منفي وجدانه في صدور الأنصار تجاه ما خُصّ به المهاجرون من الفيء.

لفظ ﴿حَاجَةً﴾ بين الحقيقة والمجاز:

يجوز أن يحمل لفظ ﴿حَاجَةً﴾ على استعماله الحقيقي اسم مصدر الاحتياج، فإنّ الحاجة بهذا المعنى يصح وقوعها في الصدور؛ لأنها من الوجدانيات والانفعالات، ومعنى نفي وجدان الاحتياج في صدورهم: أنّهم لفرط حبهم للمهاجرين صاروا لا يخامر نفوسهم أنّهم مفتقرون إلى شيء مما يؤتاه المهاجرون، أي: فهم أغنياء عما يؤتاه المهاجرون، فلا تستشرف نفوسهم إلى شيء

نفوس الأنصار
خالية من أي
شيء يحتاج
إليه مما أوتي
للمهاجرون

معنى الاحتياج
الحقيقي وآثاره
المجازية محتملة
الدلالة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 92 / 28.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4 / 505.

مِمَّا أُوتُوهُ، بله أن يتطلبوه⁽¹⁾، ويمكن أن يحمل لفظ ﴿حَاجَةً﴾ على الحزاة أو التطلع أو الغيظ، فيكون التعبير من باب المجاز المرسل لعلاقة السببية؛ إذ عبّر بالحاجة وأراد المسبب عنها، وفيه دلالة على انتفاء ما يمكن أن يترتب على اختصاص المهاجرين بالفيء من حقد أو حسد أو غيظ⁽²⁾، وهو يدل على صفاء نفوس الأنصار، وشدة محبتهم لإخوانهم، ورقة قلوبهم نحوهم.

نوع (من) ودلالاتها:

يحتمل حرف (من) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أن يكون للتعليل، والمعنى: لا يجدون في صدورهم حاجة؛ بسبب ما أوتي المهاجرون، ويمكن أن تكون ابتدائية، أي: لا يجدون حاجة ناشئة عما أوتي المهاجرون، ما يفيد انتفاء وجدان الحاجة في نفوسهم، وانتفاء أسباب ذلك الوجدان ومناشئته المعتادة في الناس تبعاً للمنافسة والغبطة، وقد دلّ انتفاء أسباب الحاجة على متعلق حاجة المحذوف؛ إذ التقدير: ولا يجدون في نفوسهم حاجة لشيء أوتيه المهاجرون⁽³⁾.

بلاغة استعمال مفردة ﴿أُوتُوا﴾:

جاء التعبير بفعل: ﴿أُوتُوا﴾ دون (أعطوا): لأن الإيتاء هو عطاء مقدر؛ كإيتاء الزكاة، وأموال الفيء، والصدقات، بخلاف الإعطاء فهو مطلق غير مقيّد، فاستعمال اللفظ جاء دقيقاً في التعبير عن المال المقدر الذي أوتيه المهاجرون، ولما كان توزيع الأموال مقدرًا بعدالة تشريعية، كان هو الكاشف عن رضا الأنصار بما أوتيه المهاجرون، فالرضا بتوزيع الأموال المقدرة هورضاً شرعيّ، والمسلم

الابتداء
والتعليل
حاضراً في
المعنى

أموال الفيء
مقدرة شرعاً،
وهو سبب انقياد
الأنصار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 93.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 229.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 93.

مهما بلغ من الأخلاق العالية، فلا بدَّ أن يكون هناك ضابطٌ شرعيٌّ يُحافظ عليها، ويزيدها رفعةً وعلوًّا.

نكتة بناء فعل ﴿أَوْثُوا﴾ للمفعول:

توجيه الأنظار
إلى الأفعال
هو المقصود
والفاعل، فهو
معلومٌ من
السَّيَاق

جاء بفعل الإيتاء مبنياً للمفعول، المعبر عنه بواو الجماعة العائد إلى المهاجرين؛ ليشمل المعنى ما أُعطي المهاجرون من الفيء وغيره، وليشمل كذلك ما أعطاه لهم الرَّسُولُ، والمعنى: ممَّا أُوتي المهاجرون من الفيء وغيره من أموال بني النَّضِير وغيرهم من أيِّ مؤتٍ كان، فكيف إذا كان المؤتي هو الله تعالى ورسوله ﷺ؟ ولتوجيه الأنظار إلى الفعل لا إلى فاعله، فالعبرة بحدوث الفعل، وما يتضمَّنه من معنى، لا الفاعل، فهو معلومٌ من السَّيَاق.

بلاغة التَّتميم بالعطف:

الاحتراس عن
قصر مدح
الأنصار على
دفع الحرج

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾، ومقصود العطف تتميم المدح وتكميل الثَّناء، والاحتراس عن أن يكون المدح على الرِّضا فحسب، فعطف جملة إثبات إثثار غيرهم على أنفسهم على جملة نفي وجدان أدنى حرج لتكميل مدح الأنصار، وبيان رفيع منزلتهم.

دلالة التَّعبير بـ ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ مادَّة وصيغة:

تمامُ الفضل
وكماله أن يكون
الإنفاق عن
حاجةٍ لا عن
سعةٍ

أُسند فعل ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ إلى الضَّمير العائد على الأنصار؛ للدلالة على أنَّ من شيم مجموعهم إثثار غيرهم عليهم، ويفضِّلون الآخرين على أنفسهم اختياراً وتكرُّماً منهم، وجيء به مضارعاً؛ للدلالة على تجدد إثثارهم للآخرين مهما بلغت بهم الفاقة، واشتدَّت بهم الحاجة، والمعنى: أنَّ هؤلاء الأنصار من طبيعتهم السَّماحة والبذل، وإثثار إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، والنُّزول لهم عن الطَّيب

الأكثر ممّا في أيديهم، مع حاجتهم إليه، وهذا هو الفضل على تمامه وكماله؛ إذ يجيء عن حاجة، ولا يجيء عن غنى وسعة⁽¹⁾.

علة حذف مفعول ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾:

حُذِفَ مفعول ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾؛ لدلالة السياق عليه، والتقدير: يفضلون المهاجرين على أنفسهم، ولتسليط الأنظار على معنى الإيثار، فالسياق جاء مدحهم والثناء عليهم في كونهم يؤثرون على أنفسهم، بقطع النظر عن ذكر المهاجرين، ولو ذُكِرَ المفعول؛ لظُنَّ أَنَّ مدحهم كان باعتبار أنَّهم يؤثرون المهاجرين على أنفسهم، لا باعتبار تحليهم بهذا الخلق، ومنه يُفهم معنى اتّساع المعنى، فيعمُّ المهاجرين وغيرهم ممّن يلجؤون إليهم، ويطلبون مساعدتهم، ويشمل كذلك الإيثار بالمال والأراضي والديار وكلّ ما يدخل في أسباب المعاش، والتقدير: ويؤثرونهم بأموالهم ومنزلهم على أنفسهم⁽²⁾.

بلادة استعمال حرف الاستعلاء:

جاء استعمال حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾؛ تعظيماً لفعلهم، وإشارةً إلى أنَّهم يقدمون غيرهم، ويبالغون في تمكينهم من جميع الأشياء، كما يتمكّن الإنسان من راحلته وحاجته، وذلك بقصر الفعل عليهم، فصار المعنى: يوقعون الأثرة، وهي اختيار الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصاً لهم بها⁽³⁾، ما يعني أنَّهم لا يشعرون أحداً أبداً بأنّ نفوسهم تتطلّع، أو ترغب في شيء ممّا أُعطي، أو أُخذ، وفيه دليل على أنَّهم اعتادوا الكرم والسّخاء حتّى صار ذلك جبلةً لهم وطبعاً في أنفسهم، وأيضاً فإنَّهم اعتادوا على التّواضع في الإيثار، فلم يلجّوا إيثارهم منّة ولا استكثاراً؛ لأنَّهم

العبرة في مدح
الأئصار على
خلق الإيثار لا
في خصوص
إيثارهم
المهاجرين

أعظم الإيثار
الجامع بين
الجانب المعنوي
والمادي

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 861 / 14.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 508 / 29.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 440 / 19.

جعلوا المهاجرين فوق أنفسهم، وهذا في غاية التواضع، الجامع بين الإيثار المعنوي والمادي.

بلاغة استعمال مفردة الأنفس دون رديفاتها:

جاء التعبير بلفظ الأنفس في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ **أَنْفُسِهِمْ**﴾، والمراد بالأنفس الذوات، أي: يؤثرون المهاجرين على ذواتهم، وذكر النفس دون رديفاتها؛ لأنَّ الإنسان شديد الحرص على نفسه، فهي التي لأجلها يجمع الناس الأموال والمتاع في الدنيا، فكان في ذكر النفس تلويح بأنَّ هؤلاء الأنصار قد جاهدوا أنفسهم المتطلبة للدنيا، فجعلوها تتطلع إلى الآخرة، بإيثار غيرهم عليهم، فذكر الأنفس تنبيه عالٍ على رفعة الأنصار، والدرجة الإيمانية التي بلغوها بتقديم غيرهم على أنفسهم.

فائدة واو الحال:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ **خَصَاصَةٌ**﴾ هي واو الحال، والجملة بعدها حالية، جيء بها للتنبيه إلى أنَّ الأنصار لا يؤثرون غيرهم عن غنى، ولا حال اليسار فقط، ولكنهم يفعلونه أيضا حال اشتدت بهم الفاقة، وألّت بهم الخصاصة والحاجة⁽¹⁾، وفائدة الجملة الحالية الاحتراس من الظنَّ بأنَّ الأنصار يؤثرون غيرهم على أنفسهم في حال السعة، وأمّا في حال الشدة؛ فالأمر يختلف، فجاءت الجملة لدفع هذا التوهّم بإنصاف الأنصار، وهو ما يدلُّ على أنَّ الإيمان هو الذي حركهم للإيثار لا خلق الكرم فحسب، فالكريم يعطي عن غنى، والمؤمن يعطي عن غنى وإقتار.

نوع (لَوْ) ودلالاتها:

(لَوْ) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ **خَصَاصَةٌ**﴾ شرطية وصلية، وهي التي تدلُّ على مجرد تعليق جوابها بشرط يفيد حالة لا يُظنُّ

أعضل ما يقف
في وجه المؤمنين
النفس الراغبة
في الحياة

الكريم يعطي
عن غنى والمؤمن
يعطي عن إقتار

إيثار الأنصار
منهج حياة لا
طرف طارئ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 508 / 29.

حصولُ الجواب عند حصولها، والتقدير: لو كان بهم خصاصة لآثروا على أنفسهم، فيُعلم أنَّ إيثَارهم في الأحوال التي دون ذلك بالأحرى دون إفادة الامتناع⁽¹⁾.

نكتة ذكر ﴿كَانَ﴾:

عبر النظم في جملة الشرط بفعل الكينونة ماضياً، فقال: ﴿وَلَوْ كَانَ﴾؛ للإشارة إلى تمكُّن الخصاصة من الأنصار تمكُّناً كائناً في غاية المُكَنَّة⁽²⁾، وهو ما يدفع النَّاسَ إلى الظَّنِّ بما عندهم في العادة، ولكن الأنصار يؤثرون على أنفسهم على الرغم من ذلك.

نكتة تذكير فعل ﴿كَانَ﴾ مع تأنيث فاعله ﴿خَصَاصَةً﴾:

يلحظ أنَّ الفعل ﴿كَانَ﴾ جاء بصيغة المذكر، مع أنَّ فاعله ﴿خَصَاصَةً﴾ مؤنَّث مجازيٌّ، والقاعدة النحوية تجيز تذكير الفعل إذا كان فاعله مؤنَّثاً مجازياً وفُصِّلَ بينهما⁽³⁾، ونكتة ذلك الإلماحُ إلى شِدَّةِ الخصاصة وقوتها، وإحداثها في كيان الأنصار وبيوتهم عوزاً شديداً، ومع ذلك هم لا يُفصحون عن حاجتهم لشيءٍ مما يؤتاه أحدٌ من المهاجرين أو غيرهم.

نوع الباء ودلالاتها:

الباء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ﴾ حرف جرٌّ يفيد الملازمة⁽⁴⁾، الدَّالة على لزوم الخصاصة ودوامها، وعدم الأمل في خلاصهم منها، أو انفراجها عنهم في القريب العاجل، وهذا المعنى لا يقوم به حرف الظرفية (في)؛ لدلالته على كونهم وعاء للخصاصة طيلة حياتهم، وهذا لا يحصل مع أحد أبداً، فالإنسان يتقلَّب بين الغنى والفقر، والعسر واليسر، والأنصار ثابتون في الإيثار على أنفسهم

تمكَّن الخصاصة
من الأنصار لا
يمنعهم من
الإيثار

ما أجمل الجواز
اللَّغوي والبيان
البلاغِي إذا
اجتمعا!

استشعار
الخصاصة غير
مانعٍ مؤمني
الأنصار عن
الإيثار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 94.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 440.

(3) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 2 / 89.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 94.

في غناهم وفقرهم، وفي يسرهم وعسرهم، وفائدة الباء هو بيان تلُّبَسُ الخصاصة بهم، فحين الإيثار هم يستحضرونها، ويشعرون بواقعها وأثرها عليهم، لكنَّهم في الوقتِ نفسِه يتجاوزون هذه الآلام، ويؤثرون على أنفسهم.

بلاغة التعبير بمفردة ﴿خَصَاصَةً﴾ مادة وصيغة:

الخصاصة حالة
من أحوال الفقر
الشديد التي لا
يثبت فيها إلا
خُلُص المؤمنين

الخصاصة هي: الفقر وشدة الاحتياج، وأصلها من الخصاص، وهي الفُرْجُ بين الأصابع، وكل خرق في مُنْخَلٍ أو باب أو سحاب أو برقع فهو خصاص، الواحد خصاصة⁽¹⁾، والخصاصة من الغريب الفرد في القرآن الكريم، وقد خَصَّ القرآن الكريم الأنصار بهذه المفردة؛ لما اختصوا به من الإيثار غير المسبوق، ولم يذكر السياق الفقر؛ لبيان أنَّ ما يكون فيهم هو أشدُّ الفقر وأبلغه، فالخصاصة حالة من أحوال الفقر الشديد، والتعبير بها نكرة دالٌّ على أنَّ الخصاصة عظيمة وشديدة، فالتنكير دالٌّ على بلوغ الخصاصة مبلغًا عظيمًا يدفع إلى التطلع أو الأمل في القَسَمِ مما يُعطاه الآخرون، ومع ذلك لا يطلبون، ولا يُعلنون الحاجة، بل يتعففون، ويُظهرون الغنى، بل إنَّهم يُؤثرون.

نوع الواو ودلالاتها:

احتمال
الاستئناف
والاعتراض تنبيه
وتأكيد على
مكانة الأنصار

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ استئنافية، والجملة بعدها مستأنفة جيء بها؛ للتنبيه إلى أنَّ الأنصار ومن يحذو حذوهم في السَّماحة والبذل هم المفلحون الظَّافرون بما أرادوا، وتحتمل أن تكون اعتراضية، والجملة بعدها تذييل يؤكد أن تحلِّي الأنصار بإيثار غيرهم على أنفسهم حتَّى في حالة الخصاصة هو لسلامة أنفسهم من الشُّحِّ، الذي يجب أن يقي الإنسان نفسه منه ليكون من المفلحين⁽²⁾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 508 / 29، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 94 / 28.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 94 / 28، بتصرّف.

نكتة التعبير بـ (مَنْ) اسم شرط:

(مَنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ مبتدأ متضمنٌ معنى الشرط، وفي التعبير به نوعٌ من إثارة المتلقي وتشويقه إلى ترُقّب جملة الشرط والجواب، حتّى إذا وردتا؛ ثبت في عقل المتلقي، واستقرّ في نفسه أنّ مَنْ عَمَلَ عَمَلِ الْأَنْصَارِ فِي الْإِثَارِ، ووقى نفسه من الشحّ كان من الفائزين المفلحين، فالتعبير بأسلوب الشرط فيه نوع من الحثّ إلى إتيان الشرط لنيل الجزاء.

دلالة التعبير بالفعل «يُوقِ» مبنياً للمفعول:

عَبَّرَ النَّظْمُ فِي جُمْلَةِ الشَّرْطِ بِالْفِعْلِ: «يُوقِ»؛ للإشارة إلى خطورة الشحّ على الإنسان، وضرورة أن يجعل بينه وبين نفسه حاجزاً يقيه، ويحفظها من الوقوع فيه، وكأنّ "الشحّ عدوٌّ راصدٌ، يتربّص بالنفس الإنسانية في أيّة لحظة يغفل فيها الإنسان عن حراسة نفسه منه، فإذا غفل الإنسان عن هذا العدو؛ دخل على نفسه، واستولى عليها"⁽¹⁾، وأوثر بناء الفعل للمفعول؛ لأنّ علاج الرذائل بصفة عامّة وعلاج الشحّ بصفة خاصّة صعبٌ جدّاً، لا يطيقه الإنسان إلاّ بمعونّة شديدة من الله تعالى⁽²⁾.

بلغة التعبير بالـ «شَحَّ»:

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمَ اسْتِعْمَالَ مُفْرَدَةِ «شَحَّ»، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ﴾، ولم يقل: (بُخْل)؛ لأنّ الشحّ هو الباعث على الإمساك والبخل، فالشحّ هو ما جُبِلَ عليه الإنسان من الحرص الشديد على المال، وهو الذي يحتاج صاحبه معه إلى الرّياضة الرّوحية والسّلوكيّة للتخلّص منه، والوصول إلى حالة الإنفاق والإيثار، واستعمال الشحّ دالٌّ على أنّ الأنصار اجتهدوا في التوقّي منه، فبلغوا درجة الفلاح.

الحثّ والإثارة
إلى إتيان الشرط
لنيل الجزاء

علاج الشحّ
الذي جُبِلَتْ
عليه النفس لا
يُطاق إلاّ بمعونّة
من الله تعالى

وقاية النفس
المؤمنّة من الشحّ
سبيل بلوغ
درجة الفلاح

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 14 / 862.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 440، 441.

لطيفة إضافة الشَّحِّ إلى النَّفْس:

الشَّحُّ حاصل في
النَّفْس البشريَّة
وسبيل التَّخَلُّص
منه الإيمان
والعمل الصَّالح

إضافة الشَّحِّ إلى النَّفْس في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ﴾⁽¹⁾ بمعنى حرف الظَّرْفِيَّة، أي: شَحٌّ في النَّفْس، وهو دالٌّ على أنه شَحٌّ غريزيٌّ يُطلب من المؤمن التَّخَلُّص منه بالإيمان والعمل الصَّالح، وهو يُشير إلى أنه غريزة موجودة في النَّفْس، ولا تكاد تسلم منه نفس أحد⁽²⁾، وأنه يفضي بالنَّفوس إلى البخل والإمساك إذا تُركت بدون تهذيب أو وقاية تحول بينها وبين الاستجابة له، ففي الإضافة إشارة إلى عموم الشَّحِّ في النَّفْس البشريَّة، وأنه على النَّفْس المؤمنة العمل للتَّخَلُّص منه في سبيل تحقيق الخير العظيم.

بلاغة ذكر النَّفْس دون الصِّدْر:

أثر اختيار
النَّفْس على
تعميق المعنى
النَّفسي للفظ
الشَّحِّ

أوثر التَّعبير بالنَّفْس دون الصِّدْر؛ لأنَّ الشَّحَّ حالة نفسانيَّة⁽²⁾، لها ارتباط بنفس الإنسان، ويشترك في ترسيخها قلبُ الإنسان وعقله ونفسه وجميع أعضاء بدنه، بخلاف الحرج الذي محلُّه الصِّدْر.

نوع الفاء في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾:

وقاية النَّفْس
من الشَّحِّ سبب
في الفلاح والفوز

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، هي الدَّاخلة على جواب الشرط، الرابطة بين جملته وجملة الجواب برباط السببيَّة، الدالٌّ على أنَّ الفلاح والفوز مترتَّب على وقاية الإنسان نفسه من الشَّحِّ، وحفظها منه، والمعنى: مَنْ غلب ما أمرته به نفسه من الشَّحِّ، وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه؛ فأولئك هم الظَّافرون بما أرادوا⁽³⁾.

غرض التَّعبير باسم الإشارة:

أوثر التَّعبير باسم الإشارة: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ في قوله تعالى:

(1) الزَّمَخْشَرِي، الكَشَّاف: 4 / 505.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29 / 508.

(3) الزَّمَخْشَرِي، الكَشَّاف: 4 / 505.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الموضوع للبعيد؛ لتعظيم شأن الأنصار بصفة خاصّة، وشأن مَنْ يفعل مثلهم من النَّاس بصفة عامّة، بإنزال البُعد المعنويّ منزلة البعد الحسيّ؛ للدّلالة على علوّ شأنهم، وارتفاع مقدارهم عند الله تعالى؛ لأنّهم نجحوا بمعاونته في العبور بأنفسهم من مأزق الشحّ إلى ساحة الإيثار، وقَدّموا غيرهم، فاستحقّوا الفوز بكلّ مطلوب، والنّجاة من كلّ مكروه⁽¹⁾.

تعظيم شأن
الأنصار وشأن
مَنْ يفعل
فعلهم

لطيفة العدول عن الأفراد إلى الجمع:

كان مقتضى الظاهر أن يُقال: (ومن يوق شحّ نفسه؛ فهو المفلح)، لكن النّظم الكريم عدل عن الأفراد إلى الجمع: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ رعايةً للفظ (مَنْ) ومعناها، وإيماءً إلى قلة المتّصفين بذلك في الواقع عدداً وكثرتهم معنى⁽²⁾، وذلك بجعلهم جماعة المفلحين المُشار إليه بنوعٍ من أنواع العمل الذي لا يقوى عليه إلاّ القليل من النَّاس.

عدد المتّصفين
بوقاية أنفسهم
من الشحّ قليل
في الواقع

نوع القصر وبلاغته:

في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قصر صفة على موصوف، بطريق توسّط ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾، بين المسند والمسند إليه، وهو قصرٌ ادعائيٌّ للمبالغة في كثرة الفلاح الذي يترتب على وقاية النَّفس من الشحّ، حتى كأنّ جنس الفلاح مقصورٌ على ذلك الموقّي⁽³⁾، لا يتعداه إلى أحد آخر، ولا يخفى ما فيه من إثارة المتلقّي إلى مجاهدة النَّفس، وترويضها على ترك غريزة الشحّ الموجودة فيها، المُستبدّة بها.

الفلاح مقصورٌ
على مَنْ يقي
نفسه من الشحّ
قصرًا ادعائيًا

بلاغة تعريف الجزأين:

تعريف المبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(1) البقاعي، نظم الدرر: 441/19، والألوسي، روح المعاني: 247/14.

(2) الألوسي، روح المعاني: 247/14.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 95/28.

وقاية النفس من
الشح مفتاح كل
فوز، واتصافها
به مفتاح كل
خسارة

من كبح جماح
نفسه عن
شحها؛ كان
أحرى بالفوز
بالمعاد كله

الفلاح جزاء
الإيمان وثمرة
الإيثار

تقوية وتأكيده؛ لكون مَنْ يوق شح نفسه من الناس - ويدخل فيهم
الأنصار دخولاً أولياً - هو المفلح الفائز بما يحب، ويرجو، وكأنَّ
وقاية النفس من الشح مفتاح كل خير وفوز، واتصافها به ووقوعها
في برائته مفتاح كل نكوص وخسارة.

دلالة استعمال مفردة الفلاح:

أوثر التعبير بـ ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ اسماً دالاً على الثبوت والدوام؛
للإشارة إلى أنَّ الأنصارَ ومن ينهج نهجهم في كبح جماح النفس
عن شحها، ونقلها من الأثرة إلى الإيثار هم الكاملون في الفوز بكل
مراد، أو الفائزون فوزاً تاماً لا نقص معه⁽¹⁾، ما يعني: أنَّهم الموقفون
في كل الأمور، الناجحون في كل اختبار، الناجون من كل مأزق بإذن
الله؛ فمن أثر على نفسه؛ فتَّح له باب الخير، وسدَّ عنه باب الشرِّ.

توجيه تخصيص الفلاح بالذكر:

خصَّ النظم الكريم ذكر وصف ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ دون (المؤمنون)؛
لأنَّهم قدَّموا البراهين على تغلغل الإيمان في قلوبهم؛ إذ كبَّحوا جماح
نفوسهم عن الشح، وتحلَّوا بإيثار الآخرين عليها، فكان التعبير
بالفلاح بياناً لجزاء إيمانهم، وإيضاحاً لثمرة إيثارهم، وحثاً للناس
على الاقتداء بهم والسَّير على دربهم، ولوقيل: (هم المؤمنون)؛ لظنَّ
أنَّ الإيمان لا يتحقَّق إلا بالإيثار، وهو ما يصعب على النفس البشريَّة،
فإنَّ الكرم بما في الأيدي يصعب، فكيف بالإيثار مع وجود الخصاصة.

❁ الفروق المعجمية:

الشح والبخل:

اختلف في التفريق بين الشح والبخل، فقيل: الشح هو الحرص
على منع الخير، والبخل هو المنع والإمساك عن أداء الحقوق، وقيل:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 441/19، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 435/14.

الشُّحُّ وصفٌ
للحالة الجبليَّة
لدى النَّاسِ،
والبخلُ وصفٌ
للسُّلوكِ
الأخلاقيِّ

البخل هو المنع، والشُّحُّ هو الحالة النَّفسانية التي تقتضي ذلك المنع⁽¹⁾، وقيل: الشُّحُّ يأمر بالبخل، والبخلُ ثمرة الشح⁽²⁾، ولما كان السيِّاقُ في مدح الأنصار الذين آثروا المهاجرين على أنفسهم، ولم يجدوا في صدورهم حاجة مما خُصَّوا به من الفِء؛ ناسب التَّعبير بمفردة (الشُّحِّ)؛ للإشارة إلى أنَّهم اقتلعوه من نفوسهم، ولم يكن له فيها أيُّ أثر، فالبخل وصفٌ للسُّلوكِ الأخلاقيِّ الذي يختاره الإنسان، والشُّحُّ وصفٌ للحالة النَّفسيَّة التي جُبِلَ عليها النَّاسُ، وهم إما متَّقين له بإيمانه أو أخلاقه أو بهما معاً، وإمَّا خاضع راضٍ غير آبه بتغيير نفسه، ولا ساعٍ لاكتساب الخيرات.

(1) العسكري، الفروق اللَّغوية، ص: 176، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 508 / 29.

(2) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: 227 / 2.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-66-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"